أثر الروابط والعوامل الحجاجية في شعر حافظ إبراهيم

The Influence of Links and Argumentative Factors in the Poetry of Hafiz Ibrahim

إعداد

الباحثة / أنصار بنت جوالله السلمي

طالبة ماجستير في كلية اللغات والترجمة ـ جامعة جدة ـ السعودية

البريد الإلكتروني : Arsulamii2@gmail.com

المستخلص:

تسعى هذه الدراسة إلى الوقف على تقنيات الحجاج اللغوي في شعر حافظ إبراهيم، وإجراء تحليل حجاجي يركز على الروابط والعوامل الحجاجية في إطار حجاجي إقناعي، مع الاهتمام بكيفية تأثيرها وتوظيفها داخل الخطاب الشعري، ومدى تأثيرها في إقناع المخاطب.

الكلمات المفتاحية: الرابط الحجاجي، العوامل الحجاجية، الحجاج اللغوي .

Abstract:

This study aims to explore the techniques of linguistic argumentation in the poetry of Hafiz Ibrahim, and to conduct an argumentative analysis focusing on the links and argumentative factors within a persuasive argumentative framework, with attention to how they influence and are employed within the poetic discourse, and their impact on persuading the audience.

Keywords: Pilgrim Link, Argumentative Factors, Linguistic Pilgrims.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا ، ثم أما بعد ،،،،

فإن اللغةُ تعدُّ وسيلةً من الوسائلِ الأساسيةِ التي يعتمد عليها الفردُ للتواصل مع أقرانه؛ لتساعده في توصيل أفكاره والتعبير عن آرائه المختلفة. واللغة من أهم الوسائل للمحافظة على عملية التواصل بين البشر، فهي عبارة عن رموز تؤدي عدة وظائف، ولعل أهم تلك الوظائف التواصل، الذي يحمل بين طياته طاقة حجاجية غرضها التأثير، وهي بذلك تزيح الفكرة السائدة القائلة: بأن اللغة وظيفتها الأساسية التواصل والأخبار فقط، فقد أضحى مكانها فكرة جديدة جعلت من الحِجاج وظيفة أساسية للغة، وتظهر جليًّا في العبارة الشهيرة، التي مفادها " إننا نتكلم عامة بقصد التأثير" .

والحِجاج نظرية شاملة، أطرافها ممتدة في ميادين مختلفة، منها الفلسفي، والعقلي، والبلاغي واللساني، وغيرها.. ، والحِجاج اللغوي يندرج تحت النظريات الدلالية الحديثة، التي تقدم تصورات جديدة حول المعنى، وهي من النظريات اللسانية ، التي أرسى دعائمها الفرنسي الشهير أوزفالد ديكرو (O.DUCROT)، والعالم انسكومبر (Anscomb)، حيث أوضحا بأن الحِجاج متجذَر باللغة ولصيق بها التصاق وجهي العملة الواحدة، التي لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. فاللغة تحمل مؤشرات ذاتيه تدل على طبيعتها الحِجاجية التي نجدها في حياتنا اليومية، فمن خلالها تُبنى الأدلة أثناء عملية التواصل، وهذا الأمر لا يكمن في حياتنا اليومية فقط، إنما نجده عند الخطباء والشعراء فهو عبارة عن أسلوب يهدف إلى استهواء المتلقي واستمالته.

ولقد تنوعت الآليات اللغوية داخل النصوص الشعريةَ، بين العوامل التي تقوم بحمل عدَة نتائج، وروابط مختلفة تقوم على ترتيب الحجج وتعاونها ؛ لتحقق إقناعًا أراد الشاعر إيصاله عن طريق تلك البنية اللغوية ، وحين وقع اختيارنا للمدونة الشعرية للشاعر حافظ إبراهيم؛ لما تتميز به من أسلوب حجاجي لُغوي، فهو يحكي لنا عن وقائع سياسية وأخرى اجتماعية، ويسعى هذا البحث للكشف عن تلك الآليات والأساليب اللغوية الحجاجية المبثوثة داخل نصوصه الشعرية، ومن هنا جاء اختيارنا للعنوان المسوم : أثر الحِجاج اللغوي في شعر حافظ إبراهيم.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع :

- المحور الأول : الروابط الحِجاجية:

- المحور الثاني : الروابط الحجاجية في شعر حافظ إبراهيم:

أولًا: الرابط الواو

ثانيًا: الرابط بل

ثالثًا: لكن

- المحور الثالث : العوامل الحجاجية في شعر حافظ إبراهيم :

أولاً: وظيفة العامل الحجاجي:

ثانيًا : الحِجاج بعامل القصر:

- عاملية القصر بـ (إنما):
- عاملية القصر والاستثناء بـ (ما ــ إلا)

- الخاتمة:
- قائمة المصادر والمراجع:

المحور الأول : الروابط الحِجاجية:

تُعد الروابط الحجاجية من أبرز الأدوات اللغوية التي تسهم في ربط الكلام، وتقريب المعاني ليصبح مفهومًا ومتصلًا من قبل القارئ. وتنسب هذه الروابط أو ما تسمى بالوصائل الحجاجية إلى نظرية الحجاج في المستوى اللغوي. أو ما يعرف بالحجاج داخل اللغة، والتي قامت نشأتها على يد العالم اللغوي ديكرو وصاحبه أنسكومبر وتلك الروابط تأخذ وظيفة حجاجية عند أصحابها والتي تصب أغراضها حول الإقناع والتأثير من خلال العملية التواصلية، وتتمثل هذه الروابط في: " لكن، بل، إذن، حتى، لا سيما إذ، بما أن، مع ذلك، تقريبًا، إنما" [1]. وهي أدوات توفرها اللغة للباث لتربط بين مفاصل الكلام؛ لأقناع المتلقي بالحجة التي يراها مؤسس الخطاب ضرورية[2].

وقبل الشروع في الدراسة التطبيقية، لابد من الوقوف للألمام بالدلالة اللغوية، والدلالة الاصطلاحية، وعن طريقهم نستطيع توظيف وفهم الصورة الحجاجية التي ارتكز عليها الشاعر ومدى نجاحه في توظيف الروابط اللغوية الحجاجية، جاءت كلمة (ربط) في معجم لسان العرب لابن منظور بمعنى: "ربط الشيء يربطه ويربطه ربطًا، فهو مربوط وربيط: شده، والرباط: ما ربط به، والجمع: ربط"[3] أما في الاصطلاح فهي:" العلاقة التي تحصل بين شيئين بعضهما لبعض، ويتعين كون اللاحق منهما متعلقًا بسابقه..."[4]

و كما ميز العزاوي الروابط بأنماط عديدة: "روابط مدرجة للحجج القوية منها: حتى، بل، لكن، مع ذلك، وروابط مدرجة للنتائج منها: إذن، لهذا، بالتالي، و روابط تندرج تحت الحجاج الضعيف يدخل من ضمنها بل، لكن، مع ذلك"[5]. فتنهض تلك الروابط بدور" الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حجاجًا في الخطاب"[6] .

إذن الرابط الحجاجي هو حلقة وصل بين حجتين أو أكثر، فعندها المخاطب يتمكن من خلال استخدامه لأدوات اللغة في إيصال أفكاره بدرجات متفاوتة من الإقناع، وحسب السياق الذي يحاول تحقيقه للوصول إلى نتيجة تهدف إلى استماله المتلقي.

---

(1) العزاوي، أبو بكر. (2006). اللغة والحجاج. ص26

(2) يُنظر: الشهري. عبد الهادي بن ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. ص477

(3) ابن منظور،، جمال الدين. (1991). لسان العرب القاهرة: دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير، محمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. ص 1565

(4) اللبدي، محمد سمير. (1985). معجم المصطلحات النحوية والصرفية، بيروت: دار الفرقان ص 90

(5) العزاوي، أبو بكر. (2006). مرجع سابق. ص30

(6) الشهري، عبد الهادي. (2004). إستراتيجية الخطاب؛ دراسة لغوية تداولية. ط1، بيروت: دار الكتاب، ص 508

المحور الثاني : الروابط الحجاجية في شعر حافظ إبراهيم:

تُعد القصيدة الشعرية نصًا حجاجيًا، مليئةً بالأدوات والروابط الحجاجية، التي بدورها تُسهم في ترتيب، وتنظيم الحُجج، وتوجيهها للمتلقي بغية التأثير فيه وإقناعه. ومنها يتمكن المخاطب من ربط مفاصل الكلام ليصل بين أجزائه مؤسسًا عندها علاقة حجاجية

أولًا: الرابط الواو

إنَ (الواو): حرف عطف،" ومعناها مُطلق الجمع، فتعطف الشيء على مُصاحبه، أو على سابقه، أو على لاحقه"[1]. وكما تفيد ترتيب الحجج، وقد استخدمها الشاعر حافظ إبراهيم للعطف، وترتيب الحجج قائلًا[2] :

بَناها فظنَتها الدراري منازلًا لبدر والدجى تبنى وللسعد تنصبُ

وقام رجال بالإمامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنبوا

وردَوا على الإسلام عهد شبابه ومدوا له جاها يرجى ويرهبُ

أسود على البسفور تحمي عرينها وترعى نيام الشرق والغرب يرقبُ

في الأبيات السابقة جاء الشاعر بالترتيب والعطف بين أبياته الشعرية في عيد الدولة العثمانية، ناصرًا سلاطينها الأوائل، مؤيد ومشيد بماضيها، مستخدمًا الواوات الحجاجية لتتناغم مع وجدانه السياسي، حيث جمع هذه الكلمات (الدجى، السعد، قام، طنبوا، وردوا، مدوا، يرهب، ترعى، الغرب) وربطها بالرابط الحجاجي(الواو)، وهو أسلوب حجاجي يقوم على الوصل بين أجزاء الكلام ليظهر المخاطب بنتيجة واحدة، وهو ما استخدمه حافظ في الاستعانة بالرابط (الواو) في وصل الحجج بطريقة متسلسلة، وهي تعتبر من أنسب الأحرف للربط بين تسلسل عاطفته واعتزازه بوطنه، مما جعلت النص نسيجًا حجاجيًا مترابط يكمَل بعضه لبعض؛ لتصل إلى نتيجة واحدة مفادها: الثناء والمدح على من قام بتشيّدها وبناءها، والذي كان له يد في انتشار العدل والقوة حتى أصبح لها الجاه السلطة مما يجعلهم يشعرون بالاعتزاز والفخر.

إذن الواو هنا في الأبيات السابقة تعتبر نسيج حجاجي قوي، بدوره قام ببناء قصيدة متناسقة ومترابطة، حيث ربطت كل وشدة من أزر الدلالة بالدلالة التي تليها مما أدى إلى بلوغ المعنى وقوته. فالقيمة الحجاجية

---

[1] الأنصاري، جمال الدين. (1998). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. دمشق: دار الفكر. ص343

[2] الزين أحمد، و أمين أحمد، و الأبياري إبراهيم. (1937). ديوان حافظ إبراهيم. القاهرة: دار الكتب المصرية. ج:2 ص17

للواو تظهر في ربط ووصل الدلالة بعضهم لبعض لتساند المعنى وتقوية، وبذلك تصل إلى النتيجة التي أرادها الشاعر لإقناع المتلقي.

ثانيًا: الرابط بل

تُعد روابط التعارض الحجاجي أداة موجزة وضعت للاختصار، والغاية منها تكوين علاقة حجاجية، حيث يتبين لنا أن الحجج متعارضة، إذا وردت في نص يضم نتيجتين متعارضتين. على سبيل المثال:" (ح1) تخدم نتيجة متعارضة لنتيجة (ح2)، فلكل من الحجج هذه نتيجة مستقلة عن الأخرى"[1]. بمعنى أن الحجة الأولى تخدم نتيجة معينة بينما الأخرى تكون معاك

يُعرف (بل) بأنه: "حرف عطف، يفيد إثبات الحكم لما بعده وصرفه عمّا قبله، وجعله كالمسكوت عنه، من قبل ألا يحكم عليه بشيء"[2]. وذلك كقولك: (جاءني زيدٌ بل عمرو) كما أنه يفيد الإضراب بحيث يدخل على المفردات والجمل، ويقوم بإبطال الحكم الذي سبقه ويصرف النظر عنه، وله وجهان: إضراب انتقالي بدوره ينتقل من غرض إلى آخر ولا يبطل الحكم السابق، وأما الاضطراب الإبطالي: فهو يبطل الحكم السابق بحيث تأتي جملة تبطل معناه الأول[3].

وقد وردت (بل) في شعر حافظ مرة واحدة، في قصيدة رعاية الأطفال، التي أقامتها ونظمتها جمعية الطفل في(الأوبرا) عام 1910م، وكان فحواها[4] :

شبحًا أَرى أم ذاك طيفُ خَيالِ لا، بل فتاة بالعَراءِ حيالي [5]

أمست بمدرجة الخطوب فما لها راع هُناك وما لها من والي

وفي هذه الأبيات نجد أن الشاعر عمد إلى استخدام الرابط (بل) في وصف حال الفتاة التي رآها في الحفل، حيث قام بوصفها بأنها طيف غامض، لا وجود له، ثم يتساءل أهذا شبح! أم طيف عابر، موظفًا (بل) لتقوم بدورها في نفي لما قبلها بـ (لا) النافية للإضراب والانصراف عن القول، ثم يأتي الحكم بعد (بل) كردة فعل لأثبات الفعل القبلي، وهو أن الفتاة خالية من الفرح، يتيمة الأبويين، الحزن يملى ساحات المكان مشبهها

---

[1] الراضي، رشيد. (2005). الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو. الكويت: عالم الفكر: مج34. ص231

[2] الأنصاري، جمال الدين. (2021). شرح قطر الندى وبل الصدى. إيران: دار زين العابدين. ص552

[3] السامرائي، فاضل صالح. (2003). معاني النحو. القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب. مج/3 ط2. ص223

[4] ديوان حافظ إبراهيم: ص 275

[5] العَراءِ: هو الفضاء الواسع المكشوف ويستخدم المصطلح إلى الأماكن المفتوحة والخالية.

بالعراء الذي المكشوف ولا يستره شيء كما بداخل الطفلة، والوجه الشاحب كأنها الأرض القاحلة ليس فيها زرع ونبات.

لقد وقع حرف العطف 'بل' هنا رابطًا للتعارض بين حجتين. جاءت الحجة الثانية لتصرف النظر عن الحجة الأولى، مستندة إلى 'بل' للحكم السابق؛ فالحجة الثانية لم تُبطل الأولى، بل وظّفها حافظ إبراهيم ليزيد في وصف الفتاة، منتقلًا إلى حكم آخر دون نفي الحجة التي سبقتها . من هذا يتضح أن الحجة الثانية جاءت لتعزيز الحجة الأولى، ووقعت بعد رابط التعارض ('بل')، فصارت هي الأقوى. وقد تجلت الحجة الثانية بارتباطها بالنفي لتصل ما قبلها من قول، وبذلك جاء توظيف 'بل' لوصف الفتاة من حال إلى آخر، أو بتعبير أدق، من غرض إلى غرض.

ثالثًا: لكن

يُعد الرابط (لكن) من الأدوات الحجاجية القوية التي تفيد الاستدراك، وهو: " تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته ونفيه"[1]. وكما أنها" تنسب حكمًا لاسمها يخالف المحكوم عليه، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره إن سلبًا وإن إيجابًا، ولا تقع إلا بين متنافيين"[2]. بمعنى أنها تفيد النفي لما قبلها، وتثبت لما بعده. والرابط بدوره يتمركز بين دلالتين مختلفتين، ثم تأتي الدلالة الثانية بحجتها الأقوى وتثبت نتيجتها، وتكون هي النتيجة الثانية هي النتيجة الحاسمة[3].

فإذا نظرنا إلى قصائد حافظ إبراهيم لوجدنا ظهورًا واضحًا للرابط (لكن) ولعل أهمها في قصيدته التي كتبها أثناء زيارته لمدينة إيطاليا[4]:

يُنذر القوم بالرحيلِ ولكن ليس يُغني مع القضاءِ النذيرُ

يتضح هنا أن أداة الربط (لكن) وردت هنا بين حُجَّتين مختلفتين، فأفادت معنى الاستدراك. فقد وظف الشاعر في أبياته حجتين متغايرتين: الحجة الأولى وصف فيها مَن يأتي ليُبلِّغ القوم ويُنذرهم ويُحذِّرهم من وقوع كارثة قادمة أو أمر ما، داعيًا إياهم إلى الاستعداد بالرحيل وتغيير المكان حتى لا تقع المصيبة. ثم ارتقى في حجته مثبتًا أنه مهما كان نوع الكارثة القادمة، فإن أمر الله واقع لا محالة ولا مفر منه، وقضاؤه

---

(1) الأنصاري، جمال الدين. (1990). شرح قطر الندى وبل الصدى. تح: محمد محي الدين دمشق: دار الخير. ص 148.

(2) المرادي، بدر الدين حسن. (1992). الجنى الداني في حروف المعاني. تح: د.فخر الدين قباوة. بيروت: دار الكتب العلمية ج1. ص615

(3) الدريدي، سامية. (2011). الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه. الأردن: عالم الكتب الحديث. ص347

(4) الأبياري إبراهيم. والزين أحمد، وأحمد أمين .(1987). ديوان حافظ إبراهيم. ط 3 .ص230

نافذ لا ينفع معه تحذير أو نذير. فلقد عمد حافظ إلى إقصى الحجة الأولى، مستعينًا بأداة التعارض (لكن)، ليقنع المتلقي بالحكم الثاني، وهو: أن الإنذار بالموت لا يدفع قضاء الله وقدره، والتحذير لا يُغيّر من المصير المحتوم.

ومما سبق يتضح أن الحجة الثانية وقعت بعد الرابط التعارض لكن، بدورها قامت ببناء دلالتين عكسيتين، فالحجة الثانية تعارضت مع الحجة الأولى وأصبحت هي الأقوى، والنتيجة المتعارضة هي النتيجة التي يقصدها الشاعر في أبياته في إقناع المتلقي: قضاء الله لا مفر ولا هرب منه، والتحذير لا يغير القدر المكتوب.

وفي موضع آخر من القصيدة، وفيها يمدح جمال الطبيعة والجو لدى الإيطاليين قائلًا[1] :

جوهم في تقلبٍ واختلافٍ وغيرَ أنَّ الثباتَ فيهم وفيرُ

جونا أثبتُ الجواء، ولكنْ ليس فينا على الثبات صبورُ

يظهر في البيتين السابقين أن الشاعر قد بنى حجّته أثناء زيارته لمدينة إيطاليا على الأجواء التي رآها والطبيعة المتغيرة في كل فصل، وأن الأجواء لديهم تتقلب وتختلف ولا تستقر على حال، كالفصول الأربعة التي تتوالى لديهم فكل فصل له طابعة الخاص، وغير ذلك مما يتخللها الأمطار، والأعاصير، والفيضانات التي تأتيهم بين كل فترة، وغيرها من اختلافات الطبيعية...، في المقابل الأنفس عندهم مستقرة، وثابتة، وهادئة، ولديهم جانب الثبات الذي يغلب عليه السكون والهدوء.

فالشاعر في البيت الثاني يحتج بأن الجو لدينا ينتابه الكثير من الاستقرار والثبات الطويل، ورغم ثبات الجو إلا أن سكانه يميلون إلى عدم تحمله وليس لديهم الاستطاعة في الصبر على مشاقة و تحمله ؛ لأن الثبات يحتاج إلى قوة واستمرارية. وحافظ هنا يحتج على الرغم من وجود الثبات إلا أننا نميل إلى عدم المحافظة عليه في أنفسنا فهو يعترف بالخلل الذي بداخلنا، فحن لنا الأفضلية؛ لأننا نمتلك الثبات ومن الواجب أن ينعكس على صبرنا وتحملنا. محتج بذلك أن الذي لا يمتلك الثبات وتغير الحال هو من كان أكثر ثباتًا وأكثر تحمل.

[1] مرجع سابق، ديوان حافظ إبراهيم. ص230

ومما سبق يتضح أن الشاعر قد دعَم حجته باستخدام الرابط (لكن)بين دلالتين متغايرتين، فالحجتين التي وظفها حافظ تتجلى وتظهر في نتيجة مفادها: تقلب الأجواء لا يعني بالضرورة عدم ثبات الحال، بينما الجو المستقر لا يأتي بثماره بدون صبر وتحمل.

المحور الثالث : العوامل الحجاجية في شعر حافظ إبراهيم :

إنَّ العوامل الحِجاجية تُمثل مفاهيم أساسية في الدراسات الحِجاجية؛ نظرًا لما تمتلكه من قدرة استعمالية كامنة في اللغة، حيث تعد العوامل من أهم الوسائل اللغوية الجوهرية التي تُسهم في تعزيز الخطاب؛ لتحقيق أهداف المتكلم من خلال التأثير على المتلقي، فهي تمتلك قوة استعمالية خاصة داخل اللغة، تعمل على تعزيز البعد الحجاجي عبر توجيه الخطاب بواسطة مؤشرات لغوية يتم تفعيلها داخل النص الخطاب[1].

وقد عرّف جاك موشلار العوامل الحجاجية بأنها:" مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحوّل الإمكانات الحجاجية وتوجُهها إلى هذا الملفوظ، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة أو مجموعة من الحجج، ولكنها تقوم بتقييد الإمكانات الحجاجية لقولٍ ما"[2]. والجرجاني أهتم بالعوامل الحجاجية في كتابة دلائل الإعجاز بعنوان موسوم (باب القصر والاختصاص) حيث وقف على وظيفة الخِطاب في العامل وخص فصل فيه (إنما) وفصل آخر خص فيه (ما و إلا) قائلًا: "أنه ليس كل كلام يصلح فيه ما، و إلا، يصلح فيه إنما" [3].

وتختلف العوامل الحجاجية عن الروابط؛ كون الروابط تربط بين مجموعة حجج ونتيجة، أو بين حجة ونتيجة، أما العامل فهو يعتمد على الحصر والاستثناء للقول حتى تعود إلى نتيجة واحدة[4].

أولاً: وظيفة العامل الحجاجي:

تُعد وظيفة العوامل الحجاجية من أهم الوظائف التي تقوم بتوجيه الخطاب إلى وجهة معينة و"إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية، فأنها تبرز في مكونات متنوعة ومستويات مختلفة من هذه البنية، فبعض هذه الكلمات يتعلق بمجموع الجملة، أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكرو فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها، وهذا النوع نجد النفي، والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء، وما إلى ذلك مما يغير قوة الجملة دون محتواها الخبري" [5].

---

[1] ينظر : مهدي، محمد. (2021). الحجاج اللساني من حجاج اللسان إلى حجاج القرآن. بغداد: دار ومكتبة عدنان. ص81

[2] Moeschler. Jacques. Argumentation et conversation. P62.

[3] الجرجاني، عبد القاهر.(2002) دلائل الإعجاز. ص328.

[4] الناجح، عز الدين.(2011). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. تونس: مكتبة علاء الدين. ص35

[5] صمود، حمّادي. (1998). أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: كلية الآداب منوبة. ص377

وللعوامل الحِجاجية دورًا مهمًا في توجيه الدلالة الحِجاجية، فهي تقوم بمساعدة المتلقي في الاقتناع بحجته الذي وظفها المخاطب في حجاجة، والعوامل لا يمكن أن تفهم إلا عندما نصل إلى النتيجة التي أراد المخاطب أو المحاجج الوصول إليها، مبتغيًا بذلك التحقيق في تغيير فكر ورأي المتلقي والتأثير فيه.

والعوامل الحجاجية لديها وظيفة أخرى وهي عبارة عن تقوية طاقة الملفوظ الحجاجي عن طريق القضاء على تعدد التأويلات والغموض، بحيث يجعلها واضحة وصريحة عن طريق الربط بين الحجة والنتيجة هو ما أشار إلية الناجح " الآثار الظاهر التي تؤكد حجاجية الملفوظ وليس لها من وظيفة سوى ضمان التوجيه الحجاجي لهذا الملفوظ للقضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج وذلك بنقل المتقبل من تعدد وغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد في الملفوظ، فالعامل الحجاجي يؤدي إلى حصرها حتى تقود نتيجة واحدة [1].

و لكي تصبح الوظيفة الحجاجية مؤثرة داخل الخِطاب لابد من توافر عوامل حجاجية تُسهم وتساعد على بناء و توجّه الدلالة، فالعامل الحجاجي" اسم لغوي يقيد احتمالاتها عندما يعيّن لها وجهة حجاجية" [2]. ويكمن أثر العامل في إرساء الخِطاب؛ كونها تستجيب لحقيقة نظرية الحجاج بحيث تعمل على بناء اللفظ وتسنده للنتيجة التي أراد المخاطب التوجّه إليها.

إذن مما سبق يتضح أن العامل الحِجاجي له دور كبير في تقييد معنى الكلمة وحصرها، ويرجع ذلك إلى طريقة توظيفها داخل الخاطب اللغوي لتكوين القول، فالمخاطب يستعملها بقصد التأثير في المتلقي وإقناعه التي لها قوة حجاجية بدورها تقوم في تعزير الحجة، وتحقيق التأثير في السامع وكما أنه له دور فعّال في إرساء الخطاب وبناء الملفوظ وتوجيهه للنتيجة.

ثانيًا : الحِجاج بعامل القصر:

يُعد عامل القصر من الأدوات الحِجاجية التي توفرها اللغة داخل الخِطاب، والتي بدورها تقوم بالتخصيص والتقييد، وذلك عن طريق تحديد مقصد المتكلم بحصر الملفوظ حول المعنى الذي أراد المخاطب إيصاله، وعندها يتمكن على إقناع المتلقي والتأثير فيه.

---

[1] الناجح، العوامل الحجاية في اللغة العربية، مرجع سابق ص35

[2] موشلر، جاك. وريبول، آن. (2010). القاموس الموسوعي للتداولية. تر: مجموعة من الباحثين. تونس: دار سيانترا. ط2. ص 338

ويُعرّف القصر في اللغة: " الحبس، ويقال: قصرت نفسي على الشيء إذا حبستها عليه وألزمتها إياه "[1] وأما في الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه ويسمى الأمر الأول مقصورا والثاني مقصورا عليه كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر: إنما زيد قائم، وبين الفعل والفاعل ما ضربت إلا زيدا"[2].

- عاملية القصر بـ (إنما):

تُعد أداة (إنما) من أدوات القصر، وبعد دخول ما على إنّ التوكيدية أصبحت في حالة أخرى حيث تبدلت وتغيرت وظيفتها من توكيد فقط، إلى توكيد محصور ومقصور وأصبح لها معنى جديد، وهذا ما أشار إليه المخزومي قائلًا: " قد تغيرت دلالتها من التوكيد من كونه توكيداً عادياً، إلى كونه توكيداً قاصراً وحاصراً "[3]. و عاملية إنما تركز على معنى الملفوظ دون غيره لقول الجرجاني: " اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه من غيره، فإذا قلت: إنما جاءني زيد، عقل منك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام شبيه بالمعنى في قولك: جاءني زيد لا عمرو"[4].

ومما جاء في شعر حافظ إبراهيم في القصر بـ (إنما) قوله أثناء إلقاءه في ملجأ رعاية الأطفال:[5]

لم أقف موقفي لأنشد شعرًا صُب في قالب بديع النظام

إنما قُمت فيه والنفس نَسوى من كؤوسِ الهموم والقلبُ دامي

والشاعر في هذا المقام يتحدث عن موقفه في كتابته للأبيات الشعرية وغرضه ليس إظهار قدرته الفنية في ترصين الكلام والتفنن في الوزن والقافية كما يفعل الشعراء الأخرين مهتمين بالشكل بعيدًا عن المضمون، بل العكس من ذلك فهو يكتب أشعاره تعبيرًا عن المعاناة والحزن بل أظهر كتابته من صدى المعاناة الذي عاشه، والشعر ظاهر من أعماق نفسه.

إذن فالعامل الحجاجي (إنما) قام بدور فعّال في حصر وتأكيد النتيجة في ذهن المتلقي، فالشعر عند حافظ إبراهيم يقوم على مبدأ صدق التجربة الشعرية والإنسانية، التي تنبع من رحم المعاناة ومن صنيع آلام الحياة، بعيدة كل البعد عن التفاخر و الزخارف اللغوية.

---

(1) ابن منظور، جمال الدين الفضل. (1993) لسان العرب. بيروت: دار صادر ج: 15 ط3 ص 98

(2) الجرجاني، الشريف علي بن محمد. (1985). التعريفات. لبنان: دار الفضيلة ص153

(3) المخزومي، مهدي. (1986). في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد العربي. ط2 ص238

(4) الجرجاني، عبد القاهر (2004) دلائل الإعجاز. تح: محمود شاكر، والخناجي. القاهرة ط 5. ص 258

(5) ديوان حافظ إبراهيم: ص 287- 288

ويوظف حافظ إبراهيم العامل (إنما) في حادثة دنشواي قائلًا:[1].

خَفضوا جيشكم وناموا هَنيئا وابتغُوا صيدكم وجُوبوا البِلاد

وإذا أعوزتكم ذات طوقٍ بين تلك الرُّبا فصيدُوا العِبادا

إنما نحنُ والحمامُ سواءُ لم تغادر أطواقُنا الأجيادا

والشاعر هنا يخاطب الجيش الإنجليزي في الحادثة الشهيرة دنشواي، وفيها الإنجليز قصدوا البلدة لصيد الحمام في بلدة دنشواي حيث يتواجد الحمام في هذه المنقطة بكثرة دون غيرها، مما أدى إلى تشابك بين الفلاحيين والجيش الإنجليزي، وأدى هذ التشابك إلى قتل بعضهم والآخر أصيب، ولم يكتفون بذلك بل حكم عميد الدولة البريطاني آنذاك بقتل أربعة من الفلاحيين الذين اعتدوا على جيشه وحبس الباقي منهم. وحافظ في قصيدته يتهكم على فعل الجيش الإنجليزي في انصرافهم عن أداة العمل في بلادهم، وصب تركيزهم نحو الصيد في البلاد المجاورة، وإن لم تحصلوا على ما يكفيكم من الصيد لديكم العباد اصطادوهم.

والعامل الحجاجي (إنما) هنا قام بتقييد وحصر ضعف الفلاحيين المصريين في مواجهة الإنجليز، وحصر النتيجة في أن الحمام والفلاحيين كلاهما سواء مقيديّن مصطادين فهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم من الجيش الإنجليزي، والمخِاطب هنا وجه الملفوظ نحو نتيجة واحدة لا تقبل تعدد النتائج وانحصر في ضعفهم وعدم قدرتهم على الدفاع.

إذن في ضوء ما سبق تبيّن أثر العامل الحجاجي (إنما) في إظهار ضعف وانكسار الفلاحيين في تلك البلدة ؛ ويرجع السبب إلى سلطتهم والقوية التابعة إلى الجيش الإنجليزي، وعليه فهذه الحجة جاءت لتخدم نتيجة وهي ضعف الشعب أمام الإنجليز، بحيث أنزل الملفوظ وحصره إلى درجته الحقيقية وقصره في تمثيل الفلاحيين بالحمام في عدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم وبلدتهم.

- عاملية القصر والاستثناء بـ (ما ــ إلا)

إنّ المتكلم في خِطابة لا يُنشيْ خِطابة إلا بقصد، والذي ينشأ القصدية يظهرها بواسطة الأدوات اللغوية والأساليب الحجاجية التي ويوظفها من خلال مهاراته وملكاته اللغوية، أما أسلوب القصر والاستثناء فتُعد

[1] المرجع السابق: ص334

منها ؛ لإن المتحدث لا يأتي بهذا الطريقة إلا عندما يكون المخَاطب معتقد عكس ذلك، أو شاكًا به وهو أسلوب القصر يعمل على التخصيص الشيء لصاحبة دون غيره[1].

والعامل (ما ــ إلا) يختص بموضوع وقضية واحدة، وجواب واحد، والغرض من ذلك تقييده ومقاربته للمخَاطب، بحيث يدعم القضية ويرفع من قيمتها الحجاجية؛ لأن العامل (إلا) يقوم بالرد على الكلام الذي يسبقه مغيرًا المعنى للتأكيد وقطعًا لشك المخَاطب ويصرفه عنه تمامًا[2]. " والعامل ما إلا يوجه القول إلى وجه واحدة نحو الانخفاض"[3]

إذن يُستخدم العامل الاستثنائي (ما ــ إلا) في توجيه الخِطاب إلى وجهة واحدة، وهو يعكس قناعة المتحدث وما يسعى إلى تأكيده للمتلقي، وبذلك يصل إلى تعزيز موقفه والدفاع عن قضية معينة يؤمن بها، بهدف إقناع الآخرين فيها إذن العامل يدعم ويعزز من القضية الحجاجية ويرفع قيمتها.

وإذا عُدنا إلى قصائد حافظ إبراهيم لنجد في القصر والاستثناء قصائد عده، ومن أمثلة القصر بالعامل الحجاجي (ما ...إلا) وذلك قوله في الحفل الذي أقامه محفل الصدق في دار التمثيل العربي :[4].

فما لكم أيّها الأقوامُ جامعةٌ إلا بجماعةٌ موصولة السَّببِ[5]

يعبّر الشاعر في أبياته السابقة بالاستغراب والاستنكار من حال الأمة في هذا الزمن، بأنهم لم يعودوا متّحدين و متأزرين وبالتالي ضعفت روابطهم، ولا يجمعهم إلا مصلحة أو منفعة مؤقته، وإن تلاشت تلك المصلحة لم يبقى أحدًا، ودور العامل الحجاجي هنا هو توجيه الملفوظ وحصره في نتيجة واحدة، وهو التواصل بين الناس لم يعد إلا لسبب المصلحة، وإن ذهبت تلك المصلحة ذهبوا أصحابها معها، وعامل الحصر والاستثناء (ما ــ إلا) زاد من قيمتها الحجاجية، وعلى أثرها في المتلقي فهي تحمل معنى واحد مخصص لا يقبل التأويلات؛ وذلك بهدف إقناع والمتلقي لأن الحصر أجزل في المعنى وأقرب للتأويل الواحد وهو: أنكم لا تجتمعون إلا لسبب وأن ذهب ذلك السبب ذهبتم معه. وبذلك العامل يرفع القول الحجاجي إلى نتيجة مباشرة؛ ويرجع ذلك لحصرها في قول واحد لا يقبل تعدد التأويل.

---

[1] يُنظر: عباس، فضل حسن. (1997). البلاغة فنونها وأفنانها. الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع. ط4. ص364

[2] يُنظر: الشامي، د. ألطاف. (2015) العوامل الحجاجية في شعر البردوني مج: كلية العلوم الإسلامية. العدد: 43. ص445

[3] المبخوت، شكري، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية. ص 381.

[4] ديوان حافظ إبراهيم، ص 267.

[5] الجامعة: الرابطة التي تربط الأمة وتجمع طوائفها

إذن دور العامل الحجاجي (ما ـــ إلا) التي تأتي بعد ملفوظ الاستثناء يشد من أزرها ويرفع الحجة إلى نتيجة مباشرة، مما يجعل المتلقي في نتيجة مخصصة محصورة لا تقبل التعدد في التأويلات، وأصبحت ذات قيمة عالية، وتأويل واحد يسهل على الملتقي الاقتناع بها.

وكذلك قوله في محفل الصدق :[1]

فما سمونا إلى نجدٍ نحاولُه إلا هَبطنا إلى غورٍ من العطب

وهنا الشاعر حافظ إبراهيم وظف العامل الاستثنائي (ما إلا) في حصر القول إلى اتجاه مخصص ونحو نتيجة مباشرة، وهو أسلوب عمد فيه الشاعر إلى لفت انتباه المتلقي، مستخدمًا التقييد والحصر في توجيه الملفوظ، وهو ما يجعل القول في قيمة حجاجية عالية وذات سلطة قوية؛ لتقنع المخَاطب بكل سهولة وتزيل الشك عنه مستخدما (إلا) الاستثناية التي تقوم بدورها في الرد على ما سبقها من القول، فهي جاءت لتقطع شك محاولات النهوض والصعود إلى القمة، و لكن سرعان ما تنحصر تلك الحجة في نتيجة مقيدة لا تقبل التأويلات المتعددة، وهو الهبوط إلى عمق الهلاك والفساد.

والملاحظ أن الحجة التي أتت بعد النفي (ما سمونا إلى نجد نحاوله) هو تكرار محاولات الصعود إلى القمة، والنهوض في كل مرة ثم يستعين حافظ بأداة الاستثناء (إلا) والذي بدورها خصصت وحددت النتيجة فقامت الأداة الاستثنائية بإزالة الشك وإبعاد القول الذي جاء قبل الاستثناء، وبذلك تنخفض تلك الحجة وتنحصر لتصبح نتيجة واحدة في ذهن المتلقي، وحافظ قيّد الإمكانات الحجاجية وحصرها في قول حجاجي واحد وهو النزول إلى القاع بعد عدة محاولات من الارتقاء .

ومن قوله في الحصر والاستثناء قوله في قصيدة البورصة:[2]

فما لهم عندهم عهود إلا كما تعهد النساء

و هنا وظف الشاعر العامل الحجاجي (ما ـ إلا) في إقناع المخاطَب بأن عهودهم التي يوعدون بها المستفيد ماهي إلا عهود واهيه وشفهية، ليس فيها ما يثبت بالأوراق الرسمية. فاعمد حافظ على أسلوب القصر الحجاجي، وهو أسلوب يكون المقصور عليه هو المختلف فيه؛ ليقنع المتلقي ويحصر القول في ضعف العقد، وبهذا القول يتجه نحو نتيجة مخصصه أرادها حافظ، ومضيقًا فيها الإمكانات الحجاية حيث

[1] ديوان حافظ إبراهيم: المرجع السابق ص267.

[2] ديوان حافظ إبراهيم: مرجع سابق ص213.

قصرها وخصص القول فيها وبأن عهود النساء قد تكون فيها الجدية قليلة وضعيفة؛ ليجعل المتلقي تحت نتيجة واحدة وهي أنهم ليس لديهم التزام في حفظ العهد بينهم وبين المستفيد من تلك البورصة.

إذن يتبين لنا أنّ العامل الحجاجي أدى دورًا في تحديد وتخصيص الدلالة بعد أداة الاستثناء، ويستخدمها المُخاطِب عند عدم الاتفاق في قضية ما، ويريد بذلك تصحح القول وتوجيهه إلى الحقيقة أو النتيجة التي يخصصها المرسل للمتلقي، واستخدم حافظ طريق القصر والتخصيص ليرفع من قيمتها الحجاجية ويسهل على المتلقي الأخذ بها. وأما النتيجة التي يبتغيها حافظ هو علم المستفدين و درايتهم لما يحصل في البورصة، وأن تلك العهود التي يقطعوها على مستفيدينهم هي عبارة عن عهود شفهية وليست قوية ولا تدوم.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا ، ثم أما بعد ،

فقد انتهيت بفضل الله تعالى من هذه الدراسة حول " أثر الروابط والعوامل الحجاجية في شعر حافظ إبراهيم " وبعد هذه الدراسة يتضح لنا من خلال تحليل النصوص في شعر حافظ إبراهيم المتعلقة بالحجاج اللغوي عدد من النتائج ولعل أهمها:

1- هناك ارتباط وثيق بين الحجاج اللغوي والشعر الحديث، حيث حضر ت أدوات الحجاج لتقنع المتلقي بفكرة أرد إيصالها حافظ إبراهيم.

2- دور الروابط الحجاجية في ربط وتسلسل الحجج لتآزر المعنى وتقويه لتخلص إلى نتيجة يريدها الشاعر.

3- أثر العامل الحجاجي إنما في تضييق المعنى وحصره مما جعله ويوجه المخاطب نحو نتيجة واحدة لا تقبل التعدد في التأويلات ليسهل على تضييق المعنى للمتلقي والاقتناع به.

4- نوعت المواضيع الحجاجية في ديوان حافظ بين الجوانب الاجتماعية والسياسية والنفسية حيث ارتبطت هذه الموضوعات بالحجة والنتيجة، لتشكل رابطًا أساسيًا يربط بينهم.

5- تتمثل فكرة اختلاف القوة الحُجاجية في التعارض الحُجاجي بين دلالتين مختلفتين في أن إحدى الدلالات تُلغي وجود الدلالة التي سبقتها، وكأنها لم تكن موجودة بالأصل.

قائمة المصادر والمراجع:

الزين أحمد، و أمين أحمد، و الأبياري إبراهيم. (1937). ديوان حافظ إبراهيم. القاهرة: دار الكتب المصرية. ج:2. ط3

العزاوي، أبو بكر. (2006). اللغة والحجاج. المغرب: العمدة في الطبع ط1

الشهري. عبد الهادي بن ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. ص477

الأنصاري، جمال الدين، لسان العر ب. (1991). القاهرة: دار المعارف، تح: عبد الله علي الكبير، محمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي.

اللبدي، محمد سمير. (1985). معجم المصطلحات النحوية والصرفية، بيروت: دار الفرقان.

الشهري، عبد الهادي. (2004). إستراتيجية الخطاب؛ دراسة لغوية تداولية. ط1، بيروت: دار الكتاب.

الأنصاري، جمال الدين. (1998). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. دمشق: دار الفكر.

الراضي، رشيد. (2005). الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو. الكويت: عالم الفكر: مج34.

الأنصاري، جمال الدين. (2021). شرح قطر الندى وبل الصدى. إيران: دار زين العابدين.

السامرائي، فاضل صالح. (2003). معاني النحو. القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب. مج/3 ط2.

الأنصاري، جمال الدين. (1990). شرح قطر الندى وبل الصدى. تح: محمد محي الدين دمشق: دار الخير

المرادي، بدر الدين حسن. (1992). الجني الداني في حروف المعاني. تح: د.فخر الدين قباوة. بيروت: دار الكتب العلمية ج1.

الدريدي، سامية. (2011). الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه. الأردن: عالم الكتب الحديث.

الأبياري إبراهيم. والزين أحمد، وأحمد أمين .(1987). ديوان حافظ إبراهيم. ط 3 .

مهدي، محمد. (2021). الحجاج اللساني من حجاج اللسان إلى حجاج القرآن. بغداد: دار ومكتبة عدنان.

الناجح، عز الدين. (2011). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. تونس: مكتبة علاء الدين.

صمود، حمّادي. (1998). أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: كلية الآداب منوبة.

موشلر، جاك. وريبول، آن. (2010). القاموس الموسوعي للتداولية. تر: مجموعة من الباحثين. تونس: دار سيانترا. ط2.

الجرجاني، الشريف علي بن محمد. (1985). التعريفات. لبنان: دار الفضيلة

المخزومي، مهدي. (1986). في النحو العربي نقد وتوجيه. بيروت: دار الرائد العربي. ط2

الجرجاني، عبد القاهر (2004) دلائل الإعجاز. تح: محمود شاكر، والخناجي. القاهرة ط 5.

عباس، فضل حسن. (1997). البلاغة فنونها وأفنانها. الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع. ط4.

الشامي، د. ألطاف. (2015) العوامل الحجاجية في شعر البردوني مج: كلية العلوم الإسلامية. العدد: 43.

المبخوت، شكري، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.